

الجالسات العائلية والاجتماعات الأسرية وفضل صلة الأرحام



الستّة
د. محمد بن خير بن خير



[من هو واصل الرحم؟]

ثم أعلموا أن الواصل ليس المكافئ الذي يزور من يزوره، ويقطع من يقطعه، قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلِكِنَ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمُهُ وَصَلَّهَا» [رواه البخاري].

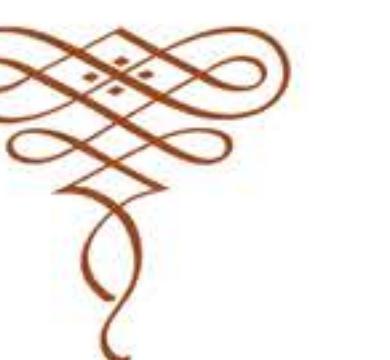
قال العلماء: يدل هذا الحديث على أن الواصل الحق هو الذي إذا قطع رحمه وصلها، فتكون صلته لله لا مكافئه لعباد الله؛ ولذلك جاء رجل إلى النبي - ﷺ ، فقال يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعني وأحسن إليهم ويسبيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَانَتْ مَسْفَهُمُ الْمَلَأُ - أي: تحشر في وجوههم الرماد الحار- وَلَا يَزَانُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرَ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» [رواه مسلم].

وهذا فيه أنه ينبغي على الإنسان أن يصبر على الرحم، وأن يحسن ويتواصل ولا يجعل الأمر مقابلة، إنما يجعله الله، ويتحمّل الأذى وفيه أن امثال أمر الله، سبب لعون الله للعبد.

[استعمال الوسائل الحديثة]

فاحرصوا على الصلة، واتخذوا من الوسائل الحديثة سبباً لزيادة الصلة بالرسائل والاتصال الدائم بالأهل، وإنشاء المجموعات الأسرية للتواصل وتعزيز ذلك بالجلسات الأسرية الأسبوعية، أو الشهرية على الأقل؛ لتلاصق الرحم، وتُعرف الأنساب، وتقطع عن الشر الأسباب، وتتوالى الخيرات على الأسر والمجتمعات، والموفق من وفقه الله وسعى في الخير والتقارب، وبذل المعروف للتحابب .

والحمد لله رب العالمين



ظلّمك ألا ومن أراد أن يمدّ له في عمره ويسط له في رزقه فليصل رحمة» [رواية الحاكم].

فالرحم الرحيم أيها المسلمون، قال ﷺ: «صلة الرحم وحسن الجوار، وحسن الخلق يُعمران الديار، ويُزدن في الأعمار» [رواية نحمد].

فالصلة إيمان وطاعة وصلة من الله ومحبة، وزيادة في المال والأهل وال عمر، ومغفرة وجنة، فاتقوا الله وصلوا أرحامكم، وأطيعوا ربكم تسعدوا في دنياكم وأخراكم.

[من هم الأرحام]

إن الرحم هم من تصلك بهم قرابة من نسب ولو بعدت، وصلتهم بما جرى به العرف، واتبعه الناس وذلك أنها جاءت في النصوص مطلقة، فيرجع فيها إلى عرف الناس، فما اعتبروه صلة فهو صلة، وكل ما زادت القرابة توجّبت الصلة.

قال القرطبي - رحمة الله -: «اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة، وقطيعتها محمرة وقد صَحَّ عن النبي - ﷺ - أنه قال لأسماء و قد سأله: أَصْلُ أُمِّي؟ قال: «نعم صَلَ أُمِّكَ»، فأمرها بصلتها وهي كافرة، فلتؤكد لها دخل الفضل في صلة الكافر».

وقال القسري - رحمة الله -: «واعلم أن الصلة تكون بالمال، وتكون بالزيارة والإحسان، وبالصفح في الأقوال، وبالغفو في الأفعال، وباللطف والمحبة والاجتماع، وغير ذلك من معاني التواصل والترابط، هذا في الدنيا، وأما من مات من القرابات فصلتهم تكون بالاستغفار لهم، والدعاء في الأوقات التي تُرجى لهم الإجابة لهم، وتنفيذ وصاياتهم وغير ذلك».

فاتقوا الله في الأرحام أيها الناس، فإن الكثير فرقتهم الديار، وبعدتهم الدنيا، والنبي - ﷺ - يقول: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصْلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صَلَةَ الرَّحِيمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَأً فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثْرِ» [رواية الترمذى].

وقال ﷺ: «اعرِفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم»

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

نفف معكم اليوم مع موضوع اجتماعي عظيم وهو قربة من القربات، وطاعة رب الأرض والسماءات، وأصلٌ من أصول التألف الأسري والمجتمعات، لا وهو:

(الجلسات العائلية، والمجتمعات الأسرية)

التي افتقدها كثير من الناس في خضم التحضرات المدنية، والالتهاء بالصالح الدنيوية، مع بعد الشقة لتناثر المساكن وابتعادها، وكثرة المشاغل وبعد مكانتها، زد على ذلك الابتعاد الحديث بالعکوف على الهواف والأجهزة الحديثة، فترى المجتمعين في المجلس بالأجساد كلهم مطاطئ رأسه على جهازه ساكت، وفكروه وعقله وبصره يجول العالم

وأسوء من ذلك أن يتفرق أهل البيت الواحد كل منهم في حجرته وعلى جهازه، ولا يكادون يخرجون إلا للطعام، بعد تكرر النداء والجهاز لا يفارق الكف، يأكل بيده وبالآخر يُقلب الصفحات، وهو أبكم أصم يمُد يده إلى الطعام، وبصره في شاشته، ولا يتكلم من شدة اندماجه وشروع ذهنه، ولا يكاد يتهمي من طعامه إلى غير ذلك من الواقع المُر.

(آثار التفرق الأسري)

إن هذا التفرق هو أول تفرق الأسر والجماعات، وانقطاع التواصل بين القرابات، وتضييع الحقوق والواجبات، ويبيّن عنده أجيالاً لا يعرف الأصغر منها الأكبر، وتقطع معها الأرحام، وتُنسى الأوصار، مع أن التواصل خلق من أخلاق الإسلام الواجبة، فرض قبل الصلاة والصيام

روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن عبسة قوله وأرضاه، وقد كان سأله رسول الله عن الذي أرسل به، فقال: «أَرْسَلْنِي بِصَلَةٍ

الله؟ قال: «إِلِيْمَانَ بِاللَّهِ»، فقيل: يا رسول الله ثم ما؟ قال: «ثُم صلة الرحم».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «من كان يؤمِن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»

وقال عليه أصلحة وأسلام: «أَرْحَامَكُمْ أَرْحَامَكُمْ» [رواه ابن حبان].

وقال عليه أصلحة وأسلام: «اتقوا الله وصلوا أرحامكم» [رواه ابن عساكر].

قال السفاريني - رحمه الله - : «وقد قرَنَ الله سبحانه باسمه في قوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١] تنبية عظيم على أن صلتها بمكان مُقْرَبٍ إليه وقطيعتها خطر عظيم، ومُبَعْدٌ منه سبحانه».

[احرص على صلة الأرحام]

أيها الناس بُلُوا أرحامكم ولو بالسلام، فإن التناكر من أشراط الساعة، فعن حذيفة - ﷺ - قال: «سُلِّلَ رسول الله - ﷺ - عن الساعة فقال: «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وَلِكُنْ أُخْبِرُكُمْ بِمَسَارِيَطِهَا وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدِيهَا، إِنَّ بَيْنَ يَدِيهَا فِتْنَةً وَهَرْجًا». قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرَفْناها، فالهرج ما هو؟ قال بِلسانِ الحَبَشَةِ: القتل، وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ، فَلَا يَكُادُ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَحَدًا» [رواه أحمد وغيره].

إن الرحمة تُوصل ولو كان بينهما عداوة، ولذلك قال - ﷺ - : «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحْمِ الْكَاشِحِ»، أي: الذي بينك وبينه عداوة [رواه الطبراني وغيره].

بل قال عليه أصلحة وأسلام: «مَا مِنْ ذِي رَحْمٍ يَأْتِي رَحْمَهُ، فَيَسْأَلُهُ فَضْلًا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَيَبْخَلُ عَلَيْهِ إِلَّا أُخْرَجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَهَنَّمَ حَيَّةً يُقَاتَلُ لَهَا شُجَاعٌ يَتَلَمَّظُ فَيُطَرَّقُ بِهِ» [رواه الطبراني].

وقال عقبة بن عامر - رضي الله عنه - : يا رسول الله أخبرني بفوائض الأعمال، فقال: «يَا عَفْيَةً، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَغْرِضْ عَمَّنْ

شُجَنَّةً مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ مَنْ وَصَلَكَ وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ» [رواه البخاري].

وفي الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال: «الرَّحْمُ مُعْلَقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

وعن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: «سمعت رسول الله ، يقول: قال الله - عز وجل - : «أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحْمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ» [رواه الترمذى وأبوداود].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إِنَّ الرَّحْمَ شُجَنَّةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ تَقُولُ: يَا رَبِّ! إِنِّي قَطَعْتُ، يَا رَبِّ! إِنِّي أَسْيَءَ إِلَيْيِ، يَا رَبِّ! إِنِّي ظَلَمْتُ، يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! فِي جِبِيلِهَا: أَلَا تَرْضِينَ أَنْ أَصْلِ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطُعْ مَنْ قَطَعَكَ» [رواه أحمد وابن حبان].

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْحَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحْمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ» قال : نَعَمْ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصْلِ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطُعْ مَنْ قَطَعَكَ فَقَالَتْ: بَلِي قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ»، ثم قال - ﷺ - : «اقْرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَمُهُمْ وَأَعْمَمَ أَبْصَرَهُمْ ﴾ ﴿ [محمد: ٢٣] » [محمد].

وأما العقوبة الدنيوية فقال عليه أصلحة وأسلام: «لِيسْ شَيْءٌ أَعْجَلُ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ» [رواه البيهقي].

وفي رواية: «مَا مِنْ ذَبِّ أَجْدَرَ أَنْ يَعْجَلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْفَقْوَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ» [رواه ابن ماجه والترمذى].

وفي المقابل قال عليه أصلحة وأسلام: «إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صَلَةُ الرَّحْمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُوا فَجَرَّةً، فَتَسْتُمُو أَمْوَالُهُمْ، وَيَكُثُرُ عَدُدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا» [رواه ابن حبان].

وفي رواية: «وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَتَوَاصَلُونَ فِي حِتَاجَنَّ».

وعند أبي يعلى أن رسول الله - ﷺ - سُئِلَ أي الأعمال أحب إلى

الآرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحِّدَ اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ» .

وقال جعفر - رضي الله عنه - للنجاشي في هجرة المسلمين للحبشة معرضاً رسول الله - ﷺ - وما يأمر به قال: «وَأَمْرَنَا بِصَدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمْانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحْمِ، وَحَسْنِ الْجَوَارِ».

وقال أبو سفيان - رضي الله عنه - في حال شركه لهرقل عظيم الروم، وقد سأله عن دعوة رسول الله - ﷺ - ، فقال: «كَانَ يَأْمُرُنَا بِالصَّلَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ».

[الصلة أساس بناء المجتمعات]

إن هذه الأخلاق وهذه الأوامر هي التي كان رسول الله - ﷺ - يدعو إليها مع التوحيد، فهي أساس بناء المجتمعات، ومنطلق قوتها، وسر تكافلها وتكاملها، ولهذا كان قطع الأرحام؛ إفساد في الأرض، ونذير هلاك.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْحَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحْمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ» قال : نَعَمْ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصْلِ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطُعْ مَنْ قَطَعَكَ فَقَالَتْ: بَلِي قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ»، ثم قال - ﷺ - : «اقْرُؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَمُهُمْ وَأَعْمَمَ أَبْصَرَهُمْ ﴾ ﴿ [محمد: ٢٣] » [محمد].

[خطورة قطع الرحم]

وهذا يدل على أن قطع الأرحام تَوَلَّ عن الحق، وإفساد في الأرض، وأن القاطع مُفْسِدٌ في الأرض؛ ولذلك استحق أن يقطعه الله فيطرده من رحمته، ويختتم على سمعه وقلبه؛ بل هو ناقض لعهد الله وميثاقه، قال الله: «وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيقَاتِهِ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيُهَسَّدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُغْنَفُونَ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» [الرعد: ٤٥]؛ ولذلك قال عليه أصلحة وأسلام: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» [متفق عليه].

وعن سعيد بن زيد - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «إِنَّ الرَّحْمَ